رسالة إلى الرئيس السادات

بقلم ذوالنون ايوب

فيينا في ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٢

سيدي العزيز الرئيس انور السادات المحترم
تحية من انسان عربي الى قائد عربي .

وبعد فقد سمعت خطابك العظيم ، يوم الخامس عشر من تشرين الاول ، فهزني ، وأثارني ، وبعث في نفسي ميت الآمال . هزني لانه وضع النقاط على الحروف ، دون مكابرة او تهديد فارغ ، وأثارتني العبارة البليغة المتكررة فيه « ان نكون او لا نكون » . أجل يا سيدي ، ورحم الله شكسبير ، ان تكون او لا نكون . ان تكون هذه الامة التي ناف عددها على المئة مليون ، او لا تكون حين تنازل عدوا شرسا زاد قليلا على المليون .

اني ، أيها الرئيس الجليل ، أؤمن كما آمنت انت ، بأن هذه الامة ستكون ، وستقوم ، من جديد ، بدور عظيم ، في دفع الحضارة الانسانية الى الامام ، كما فعلت يوم بعث نبيها العظيم بدين كريم ، وكما أنارت حضارتها المجيدة يوما مشاعل وهاجة لعالم تائه في ظلام التوحش والجهل المطبق .

لقد شاءت ارادة قوارين المال ان تفتح في قلب البلاد العربية ، المشغولة بلم شعثها ، وبعث امجادها ، ميدانا للعدوان ، فجندوا لذلك ابناء فلاسفة الصيارفة ، اساتذتهم في هذا الباب ، وابتلي العرب بمحنة كبرى .

وما اختاروا هذه البقعة من العالم عبثا ، فهي موقع حساس ومهم جدا في عالم تتصارع فيه المذاهب والمبادىء ، صراعا رهيبا ، قد يتحول الى كارثة لا تبقي ولا تذر .

لقد بدأوا ، متخذين ، في عصر العلم ، من الاساطير والخرافات حججا لهم ، وصرحوا بحق لا يؤمنون هم به ، بينهم وبين انفسهم ، ولا في نواديهم السياسية ، او محافلهم الاممية . ومثلوا مهزلة لم يشهد لها العالم نظيرا ، حتى ولا قبل الوف السنين . ذلك بأن انتزعوا شعبا من ارضه ، ليضعوا في محله اناسا جمعوهم من مشارق الارض ومغاربها ، لا يجمعهم سوى دين هو اسم بلا مسمى ، لا يؤمنون هم به ، ولا بنوه ، في عصر ساد فيه الالحاد . هكذا بدأ الكر والفر ، وكان أول الامر بين مستعمر جبار حمى المغتصبين ، ومستعمر لا حول له ولا قوة ، غلت ايدي ابنائه وكمت أفواههم ، لكي لا يعترضوا سبيل المتدفقين ، الغاصبين . ورحل الحامي ، بعد ان طرده وعي العرب المتنامي ، اثر كارثة العالم الكبرى ، رحل مخلفا وراءه ، ربيبه النغل ، بعد ان ابلغه اشده ، ودججه بالسلاح ، احدث السلاح ، وفتح له رصيدا في خزائنه ، ليغترف منها ما يشاء .

وبدأ الدور الثاني من هذا الصراع الرهيب الذي لم يسبق بمثله العالم من حيث الظلم والقسوة والوحشية ، وكيلت للعرب لطمات مهينة ، وذاقوا ذلا لم يذوقوا امرّ منه في كل تاريخهم الطويل ، حتى ولا يوم رسفوا ، لفترات قصيرة ، في أنيار اجنبية ، فلم يعرف العرب ، ولا العالم غازيا يكنس القطان كنسا ، ليملكها اشخاصا لا ينتمون اليها ، ويسميها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان .

ولقد فتّ في عضد العرب ما يجري في دنياهم ، اخوان يكيد بعضهم لبعض ، بل ويذبح بعضهم بعضا وسكين الطامع تنتظر الغر الغالب لتجهز عليه . صيارفة قد الهتهم ، عن الدنيا وما فيها ، صناديقهم المفتوحة ، ما دام الذهب يجري فيها ، دون أن ينتبهوا لعين اللص وهي ترعاه . وسدنة رفعوا راية الاديان ، وتنادوا للدفاع عنها ، ولكن بالدعاء والصلوات ، وحسب ، وهم يبصرون معالم هذه الاديان تهان ، ومهادها تحرق . ومتبوئون على عروش يقولون « فليكن من بعدنا الطوفان » .

والعالم ذو الحضارة القديمة ، المتباهي بحضارته ، ما له يتألب على العرب ؟ ولم كان أشد اقسامه بأسا على

العرب اليوم ، اعدى اعداء عدو العرب بالامس ؟ ان من احرق ستة ملايين يهودي بالامس ، قد فقد صوابه ، وخرج من اهابه ليبرهن على انسانيته باستبشاع قتل أحد عشر يهوديا ، أسرهم مشردون من اوطانهم ، ليفتدوا بهم بعض اخوانهم الذين يقاسون أهوال السجون والاضطهاد . ان العالم كله يعلم ان الآسرين والمأسورين قد قتلوا برصاص شرطة الالمان ، وبايعاز شرطة صهيون . ان العقل الانساني المتزن ليحار امام هذه العجائب والمتناقضات. فلنفكر ، ولنتعمق في التأمل لعلنا نكشف الغطاء عن الروابط والحقائق .

لقد قام بالامس القريب في اوربا مجنون اسمه هتلر، الّه القوة وصنف البشر حسب اهوائه ، وكان احطّ البشر في نظره العرب واليهود (الساميين) . ولم يكافح هذا المعتوه لوحده ، أهو وحده الذي اكتسح كل اوربا وغزا روسيا حتى وصل الى عواصمها ، ومراكزها القتالة ؟ وهل تغيرت فلسفة عبادة القوة في نفوس الملايين التي كانت ترفع قبضاتها صباح مساء ، صائحة (هايل هتلر) ؟ أتغيرت هكذا بين عشية وضحاها ؟ ليس من عاقل يصدق ذلك . ان من يعبد القوة يستخذي طبعا امام القوة ومظاهرها ، وحتى الخداعة من هذه المظاهر . لقد رأى هؤلاء ، بعد حرب الايام السبعة ، من المظاهر ما جعلهم يتصورون ان العرب امة ضعيفة مخذولة مقضي عليها ، وان اسرائيل اسطورة القوة والهها الذي لا يغلب . لقد لقيت ضابطا في جيش الصاعقة السابق ، أفتك أتباع هتلر ، رأيته يرجم العرب جميعا ، ويدعو للقضاء عليهم وعلى همجيتهم ، اثر ما سموه بفاجعة مونيخ ، فثرت في وجهه ، وثار في وجهي . واليك ايها الرئيس خلاصة جدلنا . قال « لستم ايها العرب في العير ولا في النفير، ما أنتم الا ذباب يهش » . وقلت « يا عابد القوة المخدوع ، انتظر غدا . انتظر معركة المصير وستعلم انكون ام لا نكون » . لقد سمعتك تردد ذلك ايها الرئيس . ولعل ملايين من العرب قد رددتها قبلك . هذا التجاوب العفوي بين القائد والجندي فأل عظيم ، وانه لاول الطريق .

واما ان لا نكون يا سيدي الرئيس فلا ، اذ ان هذا يخالف منطق التاريخ وبنيان الحضارة ، ومسيرة البشرية في عمرها الطويل . لا نكران اننا نحارب قوة متفوقة علينا بالمال والسلاح . فقد أعلنت الحكومة الاميركية علينا الحرب يوم قال رئيسها ، دون خجل ، سنمد اسرائيل بكل ما تريد ، وقت تريد ، وبدون انقطاع ، دون قيد او شرط. هذا بعد ان فتح لها الضوء الاخضر في مجلس الامن ، لتمر طائراتها عابثة بأجواء من جاورها من الحكومات العربية ، تطارد من طردتهم من بيوتهم ، وهم لاجئون الى دور اخوانهم ، وكأنها تقول السن بالراس والاصبع بالقلب . هكذا هي « الجروح قصاص » في دين اسرائيل وحاميتها.

اني لأحمل هيئة الامم المتحدة كلها عار هذه اللحظة . فأين سنة الانتقام في شريعتها ؟ واي انتقام ؟! أن يأسر مشرد من فلسطين رياضيا من اسرائيل ، فتعتدي دولة اسرائيل عدوانا واضحا بالطائرات والجيوش ، على لبنان وسوريا ، فتقتل العشرات ، وتنشر الخراب والدمار .

اني لأشك ان اسرائيل قد ارادت أن تكون حادثة ميونيخ كما صارت ، ولها اليد الطولى في نتائجها ، كما بينت الابحاث بعد ذلك ، لتصنع ما تشاء ، ما دام ثمة من لا يحاسبها على هذا المنطق المخزي ، وما دامت أغنى دولة في العالم تبسط عليها حمايتها ، دون قيد او شرط . قالوا ان الفدائيين ارهابيون ، بل والفلسطينيون كلهم ارهابيون . ولقد سمعت بأذني هنا في اوربا ان العرب كلهم ارهابيون . انهم لا يعرفون شيئا عن مذبحة دير ياسين ، ولا يتذكرون من قتل وسيط هيئة الامم المتحدة برنادوت . ويجهلون ان حزبا كاملا في اسرائيل نظامه الارهاب . وحين يتساءلون ببلادة ، لمَ هرب اكثر من مليون عربي وأصبحوا لاجئين ؟ لا يخطر ببالهم انه لولا الارهاب لما هرب كل هؤلاء . ولو عرفوا كل ذلك لأدركوا ان اسرائيل كلها كتلة ارهاب وحشي صارخ . ولكن هل هذا هو السر في خوف بعض الدول الغربية منها ، خوف يستتر تحت المجاملة ؟! انهم يا سيدي يخشون سطوة الارهاب الاكبر ، ويحتقرون ما دونه .

ورغم كل ذلك يا سيدي الرئيس . فسنكون . ان عدونا قوي ولكن هذه القوة لا تستند الى منطق ، فهي متهافتة لا يسند بعضها بعضا ، وهي غنية غنى عجوز خرف ، وسلاحها المتعاظم قد يكون السر في نكبتها في المستقبل . لا اقول ذلك متحيزا ، وهاكم الدليل .

كانت الدول الاوربية المستعمرة ، فيما مضى ، تخاف من يقظة الجبار النائم . وحين تململ هذا الجبار نخسته اميركا كثيرا فعجلت بيقظته ، واستعملت اساليبها التي لا منطق فيها ولا حكمة ، لكسبه الى صفها ، وبعد ان نمت يقظة الجبار انهارت كل احلامها . لقد وجدت انه معها على طرفي نقيض . فما فعلت لاصلاح هذه الحماقة ؟ تجاهلته ربع قرن ، وأصرت على ان الصين لا وجود لها ، وان الصين هي بضعة ملايين تحت قيادة احد عملائها . وضحك المنطق منها ، حتى وصل ضحكه صماخ أذنيها ، فاستكانت ، واعترفت بخرفها ، وشجبت عمل عميلها .

وقامت في شبه جزيرة الهند الصينية حركات تجديد ونهضة ، شأن الامم جميعا ، فتدخلت بين الجيران والاخوان لتصونهم من خطر الشيوعية ، وألقت بقضها وقضيضها ،

كلمات منقوشة على صوامع القدس

لم ننكر أن الليل على كتف القدس
شيخ صدئت من طول المكث مفاصله
يمسك بالسكين على عنق الشمس
لكني جئت مع الريح .. وذاك اخي آت
وابني الراكل ابواب الاتى .. آت
حتى جدي المشنوق بحبل الظلمة آت
وسنقتل هذا الليل .. سنقتله
وسنتركه في الارض يفتش عن رمس

في أسواق القدس
دميت اذني في كف النخاس
عودني أن أتبعه .. لا قلب .. ولا احساس
عودني أن ألهث خلف خطاه بلا انفاس
فتضخم قلب القدس بأحزاني
صارت عيناها من فرط الفيظ نحاس
فتذكرت بأني فلاح .. فلاح
ما زال تراب الارض المعطور عليّ وشاح ..

وصرخت به فالتفت
في مفرق عينيه رشقت المنجل والفاس
ومضيت فما التفت
يا للقدس .. ويا للقدس وعينين نحاس

كانت هذي القدس
فاتنة صافية العينين .. وطيبة النفس
فأتيت .. وقد كنت على أرصفة الزحمة شحاذ
جئت .. وأطفأت سجائرك المسمومة في عينيها
وقطعت أنامل نيسان من كفيها
ولذا نبتت أظفار أخرى .. من فولاذ
لا .. لن تجد اليوم على الارض ملاذ

شاهدتي حملتها اليوم على ظهري
وحملت لحودي اليوم على كتفي عمري
ونزلت الى الميدان
كليّ ايمان
أني .. حتى لو مت ستخرج شمس النصر
من قبري .. من قبري
فالخير الخالص انجب ابنا بار
والظلم الكافر أنجب ابنا عاق
هو الثأر ..
هو الثأر ..
يقضم والده الفظ ويشوي اللحم على الاظفار ..

تونس — **محمد الهادي بوقرة**

بكل ثروتها الطائلة ، وسلاحها الرهيب ، في حروب فيتنام، وبدلا من ان تحمي فيتنام من الشيوعية ستخرب كل الهند الصينية . ومن يعش يرَ .

وسر مأساتنا مع الولايات المتحدة ، ثالثة الاثافي . لقد حلمت بأن تشغل الفراغ الذي خلفته الدول المستعمرة بعد رحيلها ، فأسست مصالحها وبسطت نفوذها ، وجندت جلوازا ليصد من تحدثه نفسه بالتطلع الى الشيوعية ، بعبعها الرهيب . فما كانت النتيجة ؟ اصبح الشرطي « حكومة اسرائيل » آمرا لا مأمورا ، وأحدثت في نفوس العرب من الشعور بالخطر والظلم ما ساقهم الى الاتجاه الى نفس الجهة غير المرغوب فيها . صار الجلواز يدفعهم الى تلك الجهة ، بوخز الحراب ، وتقبل الخصم هدايا ما كانت في حسبانه ، وهو يضحك من رعونة عدوه .

لقد ميزت في خطابك أيها السيد الرئيس هزيم الرعد ، ونحن بانتظار المزنة . لقد استنتجت منه ان وقت الكلام قد مضى ، والحرب قادمة . حرب لرد الاهانة وطرد المغتصب ورفع العدوان . ويوم يرتفع لهيب المعركة، وتستعر نيرانها ستحترق الاقنعة الزائفة ، وتذوب جميع الخلافات التافهة ، ولا تبقى ثمة حرمة لكل متقاعس جبان. لقد استنهضت ايها الرئيس همم كل طفل ، وكل شاب ، وكل شيخ في مصر وحليفاتها ، وتيقن انك قد استنهضت همة كل طفل او شاب او شيخ في البلاد العربية كلها ، بل وخارج البلاد العربية ، في كل انحاء العالم ، وهاأنذا شيخ ، خارج وطنه ، ألبي دعوتك ، متمنيا ان آخذ بتلابيب الخصم حين اقابله وجها لوجه . فهو السبب ، مباشرة ، او بصورة غير مباشرة ، في عذاب كل حي في هذا الوطن الكبير .

وليعلم الصيارفة والسدنة وارباب العروش ، انهم وخزائنهم وعروشهم عرضة للزوال اذا لم يكرسوا كل شيء للمعركة . اني أذكرهم بمصير حكومة الصيارفة في قرطجنة ، يوم قالت روما (نحن او قرطجنة) . فصاح قائد قرطجنة العظيم ((هميلكار باركا) بالصيارفة « قدموا الاموال لصنع السلاح وتجييش الجيوش » . فأجاب السدنة عن حلفائهم الصيارفة « بل قدم ولدك هنيبال قربانا للاله بعل ليرفع عنا الغمة » . وكان مصير قرطجنة عبرة من عبر التاريخ . وكان آخر من دافع عنها امجد دفاع ، وكاد يقهر الرومان في قعر دارهم ، هنيبال الذي اراد السدنة ان يحرقوه في جوف بعل . كان الله مع المظلوم على الظالم ، وسلام الله عليك ورحمته .

ذو النون ايوب